المحاضرة رقم 01: مدخل إلى الآداب العالمية

يستخدم مصطلح الأدب العالمي (عموما) للدّلالة على الأدب الذي ارتقى إلى مستوى العالمية، وتخطى الحدود الدّولية، وترجم إلى كثير من لغات العالم، فنال شهرة كبيرة بفضل امتلاكه لخصائص فنيّة أهمها تصويره لبيئته وتعبيره عن قضايا الإنسان مثل: أدب شكسبير وتولستوي وغوغول وأرنست همنغواي وغيرهم.

1- مفهوم العالمية:

لغة: كلمة (عالمي) مشتقة من الجذر (ع.ل.م): «وهو المنسوب إلى العالم»[1]. كما تعرف في اللّغة الانجليزية بمصطلح (Global)، وهو مفهوم دالّ على الانتشار الواسع في أكثر من مكان، وتعرف أيضا أنّها صفة يتميّز بها شيء ما، وتدلّ على أنّه معروف من قبل الملايين من الأشخاص حول العالم، لذلك يطلق على الشيء المنشور أو المعروف عند أغلب الناس مصطلح العالمي.

2- مفهوم الأدب العالمي:

ولّد الأدب العالمي مع بداية القرن العشرين جدلاً حاداً، حيث تباينت الآراء حول تعريفه، فلم يعد له تعريف واضح متّفق عليه من قبل الباحثين، ومع ذلك يمكن القول أنّ ثمّة أربعة تفسيرات أساسية لهذا المفهوم وهي:

- **المفهوم الأوّل:**

كل ما أنتجته شعوب العالم من آداب قومية يعدّ أدبا عالميا، بصرف النّظر عن المستوى الفني والجمالي لنتاجاتها.

[1]- مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشرق الدّوليّة، ط4، ص 365.

غير أنّ هذا التعريف يجعل من الأدب العالمي شيئاً غامضا وفضفاضا لا يمكن حصره كما تصعب على الباحثين دراسته.

- **المفهوم الثاني:**

ورد في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة أنّ «الأدب العالمي هو كلّ أدب خاص، استطاع اختراق حدوده الجغرافية والقومية ليعانق رؤى إنسانية تتّسم بالشمولية»[1].

وبهذا المعنى فإنّ الأدب العالمي لا يشمل النتاجات متوسطة القيمة أو ضعيفة القيمة، وإنّما يقتصر على الآثار الإبداعية ذات القيمة الفنيّة والجمالية العالية، فهي آداب خاصّة (قومية) تجاوزت حدود بلدها وحقّقت النّجاح خارج أطر شعبها ولغتها القوميّة.

- **المفهوم الثالث:**

يرى بعض الباحثين الأوروبيين أنّ الأدب الأوروبي الكلاسيكي والمعاصر هو الّذي يشمل الأدب العالمي. وأنصار هذا الرّأي لا يتحدثون عن أوروبا كمفهوم جغرافي، بل يتصوّرونها كمفهوم روحي، وهذا يعني بالضرورة أنّ الأدب العالمي هو الأدب المشبّع بالرّوح الأوروبية، وأنّ هذا الأدب لا يمكن تمثله إلاّ من منظور الثقافة الأوروبية، وهذه وجهة نظر ضيّقة، إذ يرى هؤلاء أنّ آداب الشعوب البشرية تقع خارج نطاق الأدب العالمي لأنّ نتاجاتها – كما يعتقدونه– لم تصبح بعد في متناول أيدي البشرية بأسرها.

إنّ التمركز حول الذات والرغبة في تهميش الآخر رؤية غير صحيحة، وكأنّ العالم مختزل في الغرب وأنّ الأمم الأخرى لم تبلغ من النضج ما يؤهلها للدّخول في التاريخ، وما يلاحظ في هذا

[1]– سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، ط1، 1985.

التّعريف أيضا أنّه ناقص في بعده الزّمني، «فالقاعدة هي أنّ اكتساب الشهرة يستغرق زمنا، والأدب العالمي يتعامل عادة مع الأدب الذي نال إجماعا على عظمته بفضل اختبار الزّمن»[1].

كما أنّ حصر الآداب العالمي في الروائع الكلاسيكية بوصفها نماذج سامية من ناحية أو بوصفها من ناحية أخرى مكوّنا أساسياً من مكوّنات الآداب الغربية منذ عصر النّهضة وحتى عصرنا رؤية غير منصفة. إنّها تمركز معيّن يلغي الآخر مهما كان عريقا[2]. فلكلّ تقليد أدبي أعماله الكلاسيكية التي يحتذي بها كل أديب، ويعتبرها نماذج سامية، أليست **الشاهنامة وألف ليلة وليلة وجلجامس، وكليلة ودمنة،** كلاسيكيات وروائع في تراثها وتحمل في طياتها تهميشا للآخر الجديد والمعاصر مهما كان عظيماً.

هنالك عوامل تاريخية عديدة ساعدت على نشأة عقيدة التفوّق الغربي على الآخرين أهمّها: اكتشاف القارة الجديدة واحتلالها من قبل الأوروبيين وإبادة سكانها الأصليين، الثورة الصناعية والثورة العلمية وما تلا ذلك من نهضات تاريخية لا تزال وتيرتها تتسارع إلى يومنا هذا، استرجاع الأندلس من أيدي المسلمين من قبل القشتاليين[3].

- **المفهوم الرابع:**

يرى البعض الآخر أن الآداب الفولكلورية الغربية لا تنتمي إلى الأدب العالمي، حيث يعتبرونها آدابا همجيّة ويدعون إلى نبذها وطرحها خارج نطاق روائع الأدب العالمي، إلا أنّ مثل هذه المزاعم مرفوضة تماما، فهناك شعراء أمثال: هايني وبيرنس وبسنين قد ترعرعوا فوق تربة الفلكلور فكانت نتاجاتهم جزءا من الأدب العالمي.

---

[1]- هنري باجو، الأدب العام والمقارن، تر: غسان السيّد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، 1997م، ص50.

[2]- اصطيف عبد النبي، الآداب العالمية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 170، 2017، ص 30.

[3]- ينظر: بوخالفة إبراهيم، مجلة الدّراسات الثقافية والفنيّة، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا- برلين، ع.08، جويلية 2019م، ص80.

استنتاج:

الأدب العالمي أدب كلّ الشعوب دون استثناء، إنّه يتعدد ولا تتحدّد وجهته الخاصة، فلا يقال أدب أوروبي أو أدب إفريقي أو أدب آسيوي، الأدب العالمي وحدة يسودها الانسجام.

3- الأدب بين القومية والعالمية:

أ- التأثير والتأثر:

عنصر التأثير والتأثر لا بدّ أن يكون متبادلا في الآداب القومية، ولا يظهر ذلك من خلال التقدّم التكنولوجي خاصّة في مجال الاتصالات ووسائل الإعلام الحديثة التي ساهمت في تقريب ثقافات الشعوب المختلفة، وفي النضج السياسي والتكامل الرّوحي على نحو متسارع بمضي الزّمن.

ب- الصفات المشتركة:

كان مكسيم غوركي أول من أشار إلى وجود صفات مشتركة بين آداب الشعوب في مختلف العصور، حيث قال: "أنه لا يوجد أدب عالمي لأنه لا توجد لحد الآن لغة مشتركة بين جميع شعوب الأرض، ولكن الأعمال الأدبية لجميع الكتاب مشبعة بوحدة المشاعر والأفكار والآراء الإنسانية العامة، وبوحدة الآمال لإمكانية تحقيق حياة أفضل ولعل هذا التفسير هو الأقرب إلى الفهم الحديث للمصطلح ونحن ندرك اليوم بجلاء أن القيم الشعبية والقومية الحقيقية هي في الوقت ذاته قيم انسانية شاملة"[1].

ج- الترجمة:

إنّ معظم الأعمال الأدبيّة تصل إلى القرّاء عن طريق الترجمة، حيث يعمل المترجمون على نقل النصوص من لغة محليّة إلى لغة أجنبيّة، إنّها إذاً فعل تواصل بين شعوب متعدّدة تنطق بلغات مختلفة،

[1]- ينظر، دانييل هنري باجو، الأدب العام والمقارن، تر: غسان السيد، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سورية، د.ط، ص 29.

إنّها إنصات لما يقوله الآخر عن نفسه وعن تجاربه ورؤيته للعالم، «إنّ الترجمة تبلبل كلّ تمركز مع الذّات لأنّها هي التي تجعلنا نتشابك مع قضايا الأمم الأخرى ونلتقي بإرثها الثقافي والعلمي»[1].

كما أنّها تقوم بدور الوساطة الإيجابية بين ثقافتين، حيث يقود المترجم الثقافة العالمية إلى أرضية مشتركة صالحة للتحاور والمثاقفة الإيجابية، مع احترام حق الآخر في الاختلاف، فهو «يريد اقتحام الجانبين، إجبار لغته على التشبّع بالقرابة، وإجبار لغته الأخرى على النزوح إلى لغته الأم»[2].

يحلم كبار المترجمين بإنشاء مكتبة كونيّة من خلال عملية الترجمة، وتهيئ لنظام أدبي ورؤية للعالم من زاوية واحدة.

د– المكانة:

إنّ تحديد الصفة العالمية في عمل ما هو مرتبط عضويا بعنصر الزّمن، ذلك أنّ عنصر الشهرة والخلود النّسبي في العمل الأدبي لا يكتشفان إلاّ مع الزّمن، فإن لم يفقد العمل بريقه وقيمته الجمالية والفلسفية بمرور الزّمن فتلك هي ملامح العالمية، «يتعامل الأدب العالمي عامّة مع الأدب الذي نال إجماعاً على عظمته بفعل اختبار الزّمن ولذلك يكون الأدب المعاصر أقل نصيباً في نطاق الأدب العالمي»[3].

إنّ الوصول إلى العالمية لا يعني البقاء فيها إلى الأبد فعلى سبيل المثال نرى أن (أناتول فرانس) دخل الأدب العالمي منذ البداية ولكنه في العقود الأخيرة أصبح يلفظ خارجاً ليحتل المرتبة الثانية، وكذلك (جورج ويلز) الذي لم يجد في بداية الأمر صعوبة في الدّخول إلى الأدب العالمي ولكن أين موقعه الآن؟ إنّه في الواقع خارج نطاق هذا الأدب.

---

[1]– إبراهيم أولحيان، من مقال (المثاقفة وسؤال الهوية)، ضمن مؤلف جماعي "الترجمة والمثاقفة"، ص 245.

[2]– بول ريكور، فن الترجمة، ترجمة: حسين خمري، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط1، 2008، ص 21.

[3]– دانيال هنري باجو، الأدب العالمي والمقارن، ص 29.

وفي المقابل نجد أنّ مسرحيات شكسبير لم تفقد قوّتها وبريقها، ولم ينقص الزّمن من مقروئيتها رغم القرون التي تباعد بيننا وبين عصره، وكذلك الشأن بالنّسبة لملاحم الإغريق، والكوميديا الإلهية، وروايات كلّ من دوستويفسكي وتيشخوف وهيمنغواي وبرزاك وغيرهم من قمم الأدب الغربي الذي لا زال لم يفقد بريقه الأدبي[1].

الفرق بين الأدب العالمي وعالمية الأدب:

في ظلّ الدّراسات الأدبيّة المهتمّة بالأدب العالمي، ظهر مصطلح جديد عرف بعالمية الأدب، حيث قام المهتمون بمناقشته للوصول إلى طبيعة الفروقات بين المصطلحين وعلى رأسهم (محمد غنيمي هلال) في شرحه لمفهوم (عالمية الأدب) حيث يرى أنّه يتداخل مع مفهوم (الأدب العالمي) على الرّغم ممّا يحمله من مغايرة وتميّز، فهو مستند إلى قدرة لغة ما على الاطلاع على آداب لغة أخرى والإفادة منها، وإلى قدرة أدب لغة ما على التأثير في آداب أخرى تأثيراً مفيداً في نمائها الفكري والفني، حيث يقول: «عالمية الأدب يراد بها هنا خروج الأدب من نطاق اللّغة التي كتب بها إلى أدب لغة أخرى، إمّا للإفادة منها وورود مناهلها وإمّا لإمدادها بما به تغنى، وتكمل في نواحيها الفنية وموضوعاتها»[2].

يتأسس مصطلح العالمية من خلال رؤية الباحث العربي "محمد غنيمي هلال" على أمرين أوّلهما: الترجمة، التي تطلعنا على ما يفكّر فيه الآخر من خلال نصوصه الثقافية واتّجاهاته الأدبيّة، وثانيهما: الجودة الفنية وهي الشرط الأهمّ لبلوغ العالمية، فهي الّتي تحقّق سعة الانتشار وكثافة المقروئية وإيجابيّة التلقّي.

[1]- ينظر ، بوخالفة إبراهيم، الأدب العالمي المفهوم والنشأة واشكالية التسمية، مجلّة الدّراسات الثقافية واللغوية والفنيّة، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، ع8، جويلة 2019، ص 85.

[2]- محمد غنيمي هلال، دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ت، ص 27.

يقتضي مصطلح الأدب العالميّ دراسة أدب القارات الخمس كلّها دون استثناء، فكلّ أدب له إسهاماته في رسم المشهد العالمي وموقع الإنسان فيه دون تمييز إيديولوجي أو عرقي، كل أدب يحمل صوت القومية الذي أنتجته ويتنفس المناخ الحضاري الذي تخلق فيه، ويكابد هموم المجتمع الذي احتضنه، دون أن يكون النقيض المطلق لصوت الآخر.